

اليأس والأمل في شعر عبدالله البردوني

م.م. زينة جاسم ذياب جاسم المنتفكي
كلية الاداب، الجامعة العراقية، العراق
البريد الالكتروني: Zena.j.thyab@aliraqia.edu.iq

الملخص

إن تطور الأدب العربي لم يكن على مستوى العصور الأدبية فحسب ، بل تطور بشكل واضح على مستوى البلدان ، إذ إن لكل شاعر رغبة في التعبير عن شعبه ، ينقل من خلالها تجربته الإنسانية ؛ كون الشعر هو من أكثر الفنون الابداعية ذات التأثير تعبيراً عما يختلج في نفس الانسان ، و كان الأدب هو لسان حال تلك الشعوب يعبر عن همومهم و عن المواقف السياسية للحكام سواء برفضها أو تأييدها ، و يعبر عن الحوادث الاجتماعية كما التقلبات الاقتصادية التي تؤثر على الشاعر ؛ كونه مواطن بالدرجة الاولى يعيش تلك الحوادث و يحاكيها ، و يعيد تشكيل تلك الحوادث من خلال الألفاظ و الإيقاعات التي جعلت لهم بصماتهم الواضحة التي أسهمت بازدهار الأدب بشكل عام و الشعر على وجه خاص ، و انعكاس الحياة داخل الأدب جعل من الشعراء يتنافسون فيما بينهم لإثبات مواقفهم و من هؤلاء الشعراء (عبدالله البردوني) الذي يتمحور البحث حوله ، و قبل اللوج إلى دراسته لابد من الوقوف على إضاءات لحياته التي انبثق منها شعره .

الكلمات المفتاحية: اليأس، الأمل، الشعر، عبدالله البردوني.

Despair and Hope in the Poetry of Abdullah al-Baradouni

Zina Jassim Dhiab Jassim al-Muntafiki
College of Arts, Al-Iraqia University, Iraq
Email: Zena.j.thyab@aliraqia.edu.iq

ABSTRACT

The development of Arabic literature was not limited to literary periods, but also manifested clearly at the national level. Every poet desires to express their people, conveying their human experience. Poetry is among the most influential creative arts, expressing what stirs within the human soul. Literature served as the voice of these peoples, reflecting their concerns and the political stances of their rulers, whether in rejection or support. It also reflected social events and economic fluctuations that affected the poet. As a citizen first and foremost, he lived through and reflected these events, reshaping them through words and rhythms that left their distinct mark, contributing to the flourishing of literature in general and poetry in particular. The reflection of life within literature led poets to compete with one another to assert their positions. Among these poets is Abdullah al-Baradouni, the focus of this research. Before delving into his study, it is essential to examine aspects of his life from which his poetry emerged.

Keywords: Despair, Hope, Poetry, Abdullah al-Baradouni.

عبدالله البردوني :

شاعر يماني من شعراء القرن العشرين ، يطلق عليه لقب (البردوني) و هذا اللقب اكتسبه نسبة إلى ولادته في قرية (البردون) هذه القرية التي تتبع جغرافيا لمحافظة (ذمار) التي تعد واحدة من أكبر القرى اليمنية ذات الطابع الريفي والتي تشتهر بفصاحتها اللغوية و تركيز اهتمامها على دراسة الفقه و اللغة العربية ، و كانت ولادته بين عامي 1929 - 1930 ، و هذا التباين في تحديد سنة ولادته لم يكن بالأمر الغريب في تلك الحقبة الزمنية ، إذ كان من المعتاد على المواليد في تلك الحقبة الزمنية عدم تحديد سنوات ولادتهم بشكل صحيح في اليمن لاسيما من يولد في القرى ⁽¹⁾ ، إذ كانت التنظيم القبلي هو العمود الأساسي في تنظيم الحياة داخل اليمن مع وجود قيود اجتماعية فرضتها طبيعة الحياة القبلية ، و بفعل التحولات السياسية و الاقتصادية التي شهدتها اليمن في تلك الحقبة الزمنية كان لها أبرز التأثير في نشأت الشعراء إذ ترعرع البردوني في ظل هذه الظروف " تحت ظل والده الفلاح ووالدته مرحت طفولته و تحسست نظراته كؤوس الجمال الفاتن ، حتى أغمض عينيه العمى بين الرابعة و السادسة من العمر بعد ان كابد الجدري سنتين ، و قد كان حادث العمى مأتما صاخبا في بيوت العديد من الأسر التي عايشت الحادث ذاته ؛ لأن ريفه يعتد بالرجل السليم من العاهات ؛ فرجاله رجال نزاع و خصام فيما بينهم فكل قبيلة بحاجة إلى رجل القراع و الصراع الذي يقود الغارة و يصد المغير " (2) ، وبهذا فإن الشاعر رغم تعرضه لحادث في طفولته ومرضه الذي افقده البصر فإن هذا الحدث لم يجعل منه رجلا للقبيلة في غاراتها و في حروبها إلا أن الشاعر استغل هذا الوضع و شكل من خلاله انعطافا مهما في حياته و ابداعه الشعري و تطور موهبته من خلال معاناته برزت نظراته الثاقبة التي حارب من خلالها الجهل ، فكان أحد الشعراء الذين اشعلوا جمر الثورة و نادى بالتححرر ، و كان حسه الثوري يرسم من خلال أشعاره و يتحسس من خلال كلماته و مواقفه التي بثها من خلال ديوانه حتى يمكن القول بأنه : " الشاعر المبصر في الزمن الأعمى " (3) ، إذ نقل من خلال شعره ما يختلج في نفسه و ما يجول في خاطرة و ما تراه عين وجدانه فكانت بصمته واضحة و اراءه سديدة و كان سيد قومه في التحفيز و النضوج يطلق العنان لصرخاته في وجه الطغاة و ينتقد ما لا يناسب موقفه و حياته ، كان يصور في شعره البعد الوطني لما يتمناه حتى غلب على شعره العنفوان السياسي الذي يرضي نفسه و يرضي القارئ من خلاله .

عاش البردوني في كنف حياة كانت مليئة بالأحداث و المواقف التي تقف بوجه الظلم كما السلطة التي لا يرتضيها الشاعر ، مما جعل من الحزن القلب الغالب على شعره ، يعبر من خلال هذا الشعر كل ما من خلاله يضع بصمة خاصة به في التعبير عن خلجات النفس البشرية و التمرد و الحماس و العنفوان الشعري على ما هو مألوف لينتج خطابا شعريا فعلا يحدث الغاية التي ينشدها الشعر و يؤثر في نفس الفئة المتلقية له . (4)

فقد البردوني بصره في سن صغيرة ، إذ لم يتجاوز السابعة من عمره ، إلا أن هذا الحدث جعل من الشاعر ذات شخصية فذة منفردة عن غيره و مختلفة في الأسلوب تنوع شعره بين الحزن و الحماس و تنوع الموضوعات الداعية إلى الحرية و العدل و مختلف الجوانب الإنسانية كون هذا التنوع جزءا أساسيا من تنوعه الشعري (5) ، العمى شكل انعطافة مهمة في حياة الشاعر في ابداعه و في صورته من خلال المعاناة لما يختلج في نفسه ، جعل

(1) ينظر : عبدالله البردوني ، الأعمال الشعرية ، الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء ، 2002 ، المجلد الاول ، ص22.

(2) المصدر نفسه : ص20.

(3) البعد الوطني الثوري في شعر البردوني ، جريدة الثورة ، العدد 18573 ، 2015.

(4) ينظر : عبدالله البردوني الشاعر البصير ، مجموعة من الكتاب احمد المنصوري ، شهاب غانم و اخرين ، مطبعة جولدن ستي ، الشارقة ، ط1 ، 2019 ، ص21 .

(5) ينظر : المصدر نفسه : ص23.

منه ذا نظرة ثاقبة في فهم الوضع و إعادة طرحه طرحا جديدا يلائم نفسية القارئ فجعل طفولته مفعمة بالنشاط على الرغم من تفاصيلها الأليمة و القاسية التي تركت في نفسه أثرا عميقا و صقلت بذرة من الخير و الابداع في داخله ووجدانه .

كان البردوني واحدا من أهم الشعراء الذين ثاروا على الحكم و كان للحياة السياسية اثرا كبيرا في شعره جعل منها خطابا سياسيا يحمل دلالات سياقية تظهر جمالية ما يكتب (6) فنادى بالتححرر و أسهم في اشتعال جمر الثورة و كان ديوانه الشعري الشاهد الحي على هذا التمرد حتى كان لهذه المرحلة مكانة مهمة في الشعر اليمني و اضاءة مختلفة و بذرة جديدة تزرع في وجدان الشاعر ما يمكنه من خدمة بلده تربط بين الشاعر و ثقافة قومه و تشكل منهجا و مرحلة مهمة يمكن أن يطلق عليها (مرحلة التمرد في الشعر اليمني) و يمكن القول : إن البردوني هو مؤسس تلك المرحلة و عراب خطواته الاولى هذه المرحلة التي أجمع لها الباحثون و الدارسون على بدايتها في الثلاثينيات من القرن الماضي في المرحلة التي تتوافق مع ولادة الشاعر و كانت المحطة الاولى لها الثورة الدستورية 1948 ، المرحلة التي دعت الى التنوير و التعليم و ما يخص الابداع و الابتعاثات العلمية.

(7)

إن المطلع على شعر اليمن في مراحل كفه يجد ان هذا الشعر اختلف في مراحل الثورة اليمنية إذ صور اروع صور البطولات و الفداء في سبيل الحق و تنوع بشكل لا يسبب الملل للقارئ ، و هذا التنوع لم يكن على مستوى الشعراء و التباين فيما بينهم فحسب ، بل داخل الذات الشاعرة نفسها ، فنجد أن الشعر يختلف في شعر شاعر بعينه ، نراه تارة يميل إلى الفرح و الأمل و المحبة و تارة اخرى بين الحزن و الحماص و الغوص في أعماق النفس البشرية ؛ لذا كان الشعر بين عامي 1940- 1992 اكثر حماسة و خطابه خطابا ثوريا تيمنا بالأحداث السياسية و الاجتماعية التي قادت إلى تغييرات حقيقية في اليمن (8) و تظهر فاعلية هذه الأحداث بوصفها ركيزة تمتلك كل مقومات استمرارها في الإبداع الذي هو " انبثاق من الماضي و خروج عنه باستمرار "

(9)

كان الشعر اليمني على يد البردوني يمثل الضمير اليمني في الثقافة و الابداع و صوته الداخلي و الخارجي الذي يحمل همومه و تطلعاته و امانيه في التحرر و الاستقلال و ما ينادي به من العدالة و المساواة في كل الظروف كما حافظ في الوقت ذاته على شكل القصيدة رغم تغير المضمون الذي اكتسبه من روح عصره حتى ظل بكل مايملك من ادوات ابداعية تحث على التجزئة الهدامة للمجتمع و قيمه " ظل الشعر في اليمن الصوت الوحيد الذي تسترد فيه انفس الشعب المغلوب على أمره بل تستطيع ان تقول : إنه الصوت الوحيد الذي ظل على الرغم من معاناة الشعراء من سجن و تشريد و اعدام يقاوم الطغيان " (10)

(6) ينظر: الشخصية الاستعارية في شعر عبدالله البردوني : دراسة سيميائية ، مصطفى ابراهيم الضبع ، مها بنت عبدالله سعيد الزهراني ، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية ، مجلد 31، عدد 4، ص 2023.

(7) ينظر : قضايا يمنية (الحركة الوطنية و الهوية و الثقافة و الدولة) ، نبيل البكري ، المؤسسة العربية للدراسات الاستراتيجية ، 2023: ص 79 ، و ينظر : الثقافة الجمهورية في اليمن ، علي محمد زيد ، مؤسسة أروقة للدراسات و الترجمة ، القاهرة ، ط 1 ، 2020 : ص 79 .

(8) ينظر : اثر التراث في شعر عبدالله البردوني ، فاطمة عبدالله محمد ، جامعة الكوفة ، رسالة ماجستير ، 2003 : ص 16 .

(9) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر : ص 61.

(10) الشعر في اطار العصر الثوري : ص 81 ، و ينظر : المضامين الدينية و التراثية في شعر اليمن الحديث : ص 9 .

يرتقي الشعر بنفسية الشاعر ويغوص في أعماق هذه النفس البشرية ليجسد أظهر و أعمق تلك المشاعر التي تجتاح الانسان و تسرد بين سطور الشعر ما هو أصدق ما يعبر عنه من مواقف و أحداث و تغيرات فضلا عن التطلعات التي يأمل بها الانسان لجعلها عرضة للمتلقي

ثنائية اليأس و الأمل في شعره :

تستقطب هذه الدراسة تسليط الضوء على ركيزتين هامتين في شعر البردوني تتمثل في ثنائية اليأس و الأمل التي قام عليها جزءا كبيرا من شعر البردوني و شكل من خلالها أعظم مساراته الشعرية ، إذ تمثل هذه الثنائية أبعادا نفسية و فكرية تتلازم مع شعره و تشكل له رونقا متماسكا إذ لا يأتي الحزن و الألم في شعره و اليأس دعوة للاستسلام بل على غير العادة يحول الشاعر يأسه إلى رغبة في التحرر و يحمل في خباياه بذورا من الأمل الذي يجعل الحياة مستمرة و المستحيل ممكنا و التحرر قرار واجب التنفيذ ، و كل شعور بالانكسار هو دعوة للنهوض من جديد دفاعا عن الخير و الألفة ، و في هذا البحث يسلط الضوء على هذه الثنائية لبيان العلاقة بينهما و مدى ارتباطهما بالشاعر .

يرتبط اليأس عند الشاعر من خلال نقده السياسي للواقع الذي يسعى من خلاله الشاعر إلى الكشف عن مظاهر الفساد و الظلم و السخرية من القوانين و الانظمة التي تحكم البلد ، أما مظاهر الأمل في شعره فتتمثل في الرغبة في التغيير و رفض الاستسلام للسلطة و تطلع الشاعر للحرية و الأمل الذي يصدق في الأفق لتثبيت موقف الشاعر و سنعرض في هذا البحث الأشعار المرتبطة بهذه الثنائية .

و من الأشعار التي ارتبطت بهذه الثنائية نجد في ديوانه قوله : (11)

وحدي وراء اليأس و الحزن تجترني محن إلى محن

و طفولة الفنان تذهلني عن ثقل الامي و عن وهني

فأنا هنا طفلٌ بدون صبا و اليأس مُرضعتي و محتضني

و عداوة الأندال تتبعني و تُغسل الأدران بالدرن

من خلال هذه الأبيات يعبر الشاعر عن الوحدة التي يشعر بها هذه الوحدة التي تجعل من الشاعر رهين اليأس و حبيس الاحزان ، يتذكر من خلالها الشاعر الطفولة البائسة التي عاشها و هو في صراع مع المرض الذي يجعل منه مختلفا عن أقرانه و شاذا عنهم ، كان الشاعر رهين هذا الاحسان الذي ترك الأثر الاعمق في نفسه منذ

(11) ديوان عبدالله البردوني ، الأعمال الشعرية ، الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء ، ط1 ، 2002 :ص 356.

الطفولة حتى مرحلة الشباب بقي أثرها الأعمق في نفسه و أثارها واضحة على مدى سنين عمره فشعور الوحدة عند الشاعر هنا ما هو الا انعكاس لما عاشه و أثاره واضحة في جذب المحن و الازمات التي مر بها الشاعر من وقت لآخر ففي كل موقف أو حدث له يربطه الشاعر بتلك الازمات الطفولية ، هذه الطفولة التي أذهلت الشاعر بثقل أيامها و بطئ سنينها ، فذلك الطفل لم يعيش صباه كما بقية الشباب حتى يذكر انه تربي و نشأ عيّد يد اليأس و العداوة التي كانت ترافق أيامه هذه المعاناة التي وجد الشاعر من خلالها المنفذ لإطلاق العنان لمملكته الشعرية و أبداعه الأدبي فقد عبر عنها الشاعر بأصدق المشاعر و انبل العواطف التي تستوقف القارئ ؛ ليعيش تلك اللحظات البائسة مع مبدعها .

و في هذه الابيات الشعرية يفتح الشاعر قصيدته بتصوير احساسه و حالته النفسية و الاضطرابات التي تجول في خاطره و التي تزيد من الانتهاك النفسي و المعاناة و عدم الشعور بالراحة و الاستقرار و هنا يتجسد الباعث النفسي المؤثر في شخصية الكاتب و يؤدي إلى شعوره بالانهاك النفسي و احساسه بالرغبة في العزلة و الاستسلام لواقعه المؤلم ، كما تظهر في هذه الابيات مفارقات نفسية تتمثل الطفولة و ما يرتبط معها من البراءة التي مثلت الملجأ النفسي المؤقت للشاعر الذي يساعده في التخلص من الامة و ضعفه و بين الألم الذي يجتاح نفسه رغما عنه و يستسلم له ، و على الرغم من كمية الالام التي تختلج في هذه الأبيات الشعرية الا ان فسحة الصمود موجودة و الشاهد على ذلك قوله : (12)

يخوض إلى الوعد موج الرّماذ

يريدُ ويمضي إلى الامراد

و تنتشّد أهدابه لا ارتداد

و يرمي سفينته للحريق

إلى سفرٍ من رؤى شهرزاد

و نختبره من غيوم الصديد

الإرادة هي التي جعلت الشاعر يخرج من دوامة أحزانه و ينطلق نحو الإبداع ، هذه الإرادة هي التي جعلت من الشاعر مختلفا عن اقرانه غير مستسلم لظروفه يمضي الشاعر و ينطلق الى تحقيق مراده يسعى الى المجد و الارتقاء بنفسه و قومه في مكابدة الازمات و مقارحة العاديات ، يخوض الشاعر الازمات و يواجهها دون هروب يرمي بكل ما يملك و يجازف من أجد المجد فهو لا يرغب بحياة الجبن و الإنعزل يريد ان يرتقي الى العلا ليصنع المجد فلا مجال للجدد هي الحياة من جانبه لا تعاش الا بالمواجهة و الوقوف بوجه الازمات التي تقوي من عزيمته كما لا يقبل على نفسه هذه الصفات فلا يرتضيها لقومه و يريد لمجتمعه الازدهار الذي يتحقق بسواعد الأبطال لا الجبناء .

كما تكشف روح هذه القصيدة عن عوالم تتجسد في قدرة الشاعر على مواجهة كل من يطراً عليه فلا يقف الشاعر مكتوف الأيدي عند حدود الألم بل يتطلع إلى المستقبل و يحول تلك المعاناة إلى طاقة تدفعه إلى تحقيق جميع أهدافه كما تكشف جوانب هذه الأبيات الشعرية تصويرا لشخصية الشاعر التي لها القدرة على تحفيز الدفاعات الداخلية للشاعر لتمكينه من مواجهة الاحباط و مقاومته فمن وجهة نظر الشاعر أي عقبات لا تلغي الأهداف المنشودة بل تجعل منه أكثر عزيمة و اصرار على تحقيق مبتغاه .

(12) ديوان عبدالله البردوني: ص 507.

ومن أبياته الشعرية التي ترسم معالم الأمل و القوة و الصمود قوله : (13)

يخوفني بالنهب و القتل ناظم
عليّ و هل لي ما أخاف عليه
إذا رامّ نهبي لم يجد ما يرومّه
و إن رامّ موتي فالمصيرُ إليه
إذا سلّ روعي سلني من يد الشقا
و ألقني من سجن عمري فقاتلي
عدو مروءات الصديق لديه

يعبر الشاعر عن مواجهة الاعداء و كيف يقف بوجه العدو بقوة إذ لا يخاف مما قد يواجهه ، فلا يوجد ما يخسره غير الكرامة التي ترتفع بقوته و تصان بمواقفه المشرفة ، فلا يوجد مقف عائقاً له في مواجهة حتى الموت لا يهتز له ، فالموت نهاية حتمية كتبت على الجميع و هو يفضل الموت الذي يجيء بكرامة لا بالذل فهو عاش حياته بمشقة سقلت موهبته و صنعت مجده و صانت كرامته فقد عاش هذه الحياة سجين لمبادئه التي خسرها من أجلها حتى أقرب اصدقاء له ، هذه الخسارة التي بعدها لا يريد الا العيش كما ارتضت نفسه و لا يقبل الذلة و أن لا يخفض رأسه للأعداء فهو جاهز للموت و جاهز لخسارة كل شيء يملكه في سبيل الحفاظ على مبادئه و شعبه ، يحول الشاعر ما يتعرض له من تهديد في جوانب حياته إلى تحدي و رغبة أكبر في التحرر و ينتقل من الخوف إلى رغبته الشديدة في التخلص من تلك المعاناة عن طريق اضعاف قيمة ذلك الشيء الذي يمكن أن يخسره حتى لا تبقى له نقطة ضعف أمام العدو فالتهديد هنا يصبح أقل تأثيراً على نفسه و ان الموت هو نهاية حتمية لكل البشر فلا داعي للخوف الذي يجعل له الاستقرار الداخلي عندما يوثق بأن الموت حقيقة عامة لا يستطيع أحد تجنبها فهنا الموت رمزية للخلاص من كل ما يهدد الانسان .

يدعو الشاعر إلى الأمل في الأبيات الشعرية التي وجهها إلى الطاغية بقوله : (14)

هذا الصباح الرّاقص المتأوّد
فئن مهفهفة و سحرٌ أغيّد
و مباهجٌ ما إن يروك مشهّد
من حسنه حتى يشوقك مشهّد
الفجرُ يصبو في السفوح و في الربى
و الروض يرتشف الندى و يغرد

هذه الأبيات الشعرية تعكس الحالة النفسية للشاعر و التي غلب عليها في هذا المشهد الانفتاح على الحياة و الشعور بالجمال ، إذ جعل الشاعر من الصباح طريقة للخروج عن ما يغيم صفو الانسان و التوجه إلى التجديد و الحيوية كما يستمر في سرد الفرح و تجديد الأمل فالإنسان يستطيع أن يجد الحياة و مباهجها و يصنع لنفسه لحظات متجددة من السعادة بنفسه لتحقيق التوازن النفسي فالحياة قادرة على التجدد في كل صباح مهما طالّت ساعات الظلام لا بد من وجود فجر يأذن ببداية جديدة يجد الانسان من خلالها طريقه نحو الأمل ، و في هذه الأبيات الشعرية اشارة الى الأمل الذي يتجدد في نفس الشاعر كل صباح ، فمع بداية يوم جديد يتولد الأمل الذي

(13) ديوان عبدالله البردوني :ص 310.

(14) ديوان عبدالله البردوني :ص 246.

يرسم له طريق حياته هذا الأمل الذي يجعل للحياة معنى ، فعلى الرغم مما يعيشه الشاعر من مساوئ و مصاعب الحياة و ما يواجهه من تحديات إلا أن الأمل هو ما يبقى الشاعر على قيد الحياة يواصل مشواره و ما يرسمه لنفسه من خارطة طريق تكون بمثابة الدعامة الاساسية التي تثبت فيه الروح و تجدها ، فالبهجة التي تضيء على حياة الشاعر خسن وبهاء يولد مع ولادة الفجر الذي يغطي كل اجزاء الكوكب لينذر ببداية جديدة تشرق بعد انحسار الظلام الذي كان يشوب الناس ، هذا الظلام هو نفسه ما يزرع بالشارع اليأس و الاحباط من كل ما يواجهه الا ان ولادة الفجر تشرق في نفس الشاعر الامل مع شروق الشمس الذي يحل على الكوكب ببهجة و سناء.

ومن أبياته الوطنية قوله : (15)

يا أخي يابن الفدى فيم التماذي	و فلسطين تنادي و تنادي ؟
ضجت المعركة الحمرا فقم	فالتهب ... فالنور من نار الجهاد
و دعا داعي الفدى فالتحرق	في الوغى أو يحترق فيها الأعادي
يا أخي يا بن فلسطين التي	لم تزل تدعوك من خلف الاجداد

طرح الشاعر في مشواره الابداعي الكثير من القضايا التي تشغل الاوساط المجتمعية و تحمل على عاتقها عدد من القضايا الاقتصادية التي تكون في تماس مباشر مع حياة الفرد ، كما شغل الجانب الاقتصادي حيزا كبيرا في اشعاره و ذلك بفعل الفترة الزمنية التي عاشها الشاعر و كانت حافلة بالحوادث و الحروب و العديد من المعارك ، و لم يكتف الشاعر بطرح القضايا السياسية التي تشغل بلده فحسب ، بل لم يستطع ان يكون بمعزل عن القضية الفلسطينية التي شغلت العالم بأسره الى يومنا هذا، ففي هذه الأبيات الشعرية يدعوا الشاعر الى الاستجابة الى صرخات الشعب الفلسطيني التي تنادي لرفع يد الجور عنها ، يدعو الى التكتاف و الأخذ بالتأثر ممن جعل الشعب الفلسطيني يعاني فالحياة لا تعاش في البعد عن ساحات القتال هربا ، بل ان الحل بالمواجهة و الاستجابة لنداء الاستغاثة الذي ينبعث من خلف القضبان من صرخات النساء و الاطفال التي عجز الشاعر عن السكوت عنها ، ففي العزيمة و الجهاد تتبارك الأيادي التي ترفع يد الظلم عن ظلم و يتحقق العدل الذي طال انتظاره ، من خلال هذه الدعوات سطر الشاعر اعظم سطور المجد و العطاء و حارب بما يملكه من ملكة ابداعية تسمع صوته و تحيي القضية عبر الاجيال ، و يظهر في هذه الابيات انتقال نفسي من الحماسة نحو الاصرار إلى مواجهة المواقف الصعبة و المحن شعورا من الشاعر بالانتماء و المسؤولية لا يصال الكلمة و التحفيز و المقاومة دون تردد كما يظهر عمق القضية عند ربطها بالماضي و الأجداد لبيان الامتداد التاريخي فالقضية هنا ليست مسؤولية فردية بل هي قيمة متوارثة تقوي لدى الاجيال الشعور بالمعنى الحقيقي للثبات في المستقبل ، و هذا يتضح في كثير من الأبيات منها قوله: (16)

لو تسامت عقولنا عن هوانا	لهدينا الهدى و قدنا الزمانا
و لسرنا و خطونا بلد الفجر	المغني و ينبت الريحانا

(15) ديوان عبدالله البردوني: ص 320
(16) ديوان عبدالله البردوني: ص 341.

لما عانت العيون الدخانا

لو تلتظت قلوبنا بسنى الحب

من عطايا الوجود و سع منانا

لو كبجنا غرورنا لملأنا

الأمل يولد من خلال التكاتف و التعاون و المحبة في صفوف المجتمع ، والشاعر في هذه الأبيات الشعرية يتحدث عن كيفية السمو بالمجتمع و الرفعة التي تتولد مع التكاتف و تتحسر بالوحدانية و التي تجعل من المجتمع لا يشاركه بعضه بعضا بكل ما هو يرفع القيم ، لكان التقدم حليف الأمة بعيدا عن الغرور الذي لا يقدم شيئا سوى التفريق بين صفوفه المحبة عامل أساسي يحث عليه الشاعر و يسطر من خلاله أبياته من حيث تالف القلوب في مواجهة الاغادي و مواجهه الأخطار التي تهدد المجتمع فاليد الواحدة لا يستطيع أي احد تفريقها تتناغم و تنسجم مع بعضها في كل أزمة و تحل إي موقف لا يأبى ان يخلق توترا داخل المجتمع ، و في الوقت ذاته نجد الشاعر يعبر عن الضغوط النفسية و الألم و الحزن كقوله : (17)

أي شيء من وضع غيري ووضعي

سوف ابكي و لن يغير دمعي

غير طين يضح يعدو ويقعي

هل هنا أو هناك غير جذوع

و أنادي من ذا يعي أو يوعي

لو عبرت الطريق عريان أبكي

يلاحظ في ديوان الشاعر المراحل التي يمر بها شعره و التي تتغير بحسب الموقف بين ما يزع الأمل و يحث عليه ، و بين اليأس و الاحباط الذي يسيطر على الشاعر في مراحل معينة و تحت ضغوطات محدودة ، يطلق الشاعر العنان لمدامعه لتنهزم و يتجري لتخرج ما يعاناه الشاعر من أزمات تتصارع في داخله ، غير انه يصرح بأن هذه الأزمات لا تغير شيء في الواقع و لا يحل شيئا بهذه الدموع ، فالوضع لا يتغير و لا يتحرك بدموع الشاعر ، و لا يغير من الواقع المعاش ، بل ان ما يغير حقا من هذا الواقع هو مواجهة الازمات و تكاتف الايدي في المواقف ، فالشاعر بدموعه لا يحرك ساكنا من توتر الموقف حتى لو بذل كل ما يملك وحده فالحال لا يتغير الا مع وجود تغيير حقيقي و موقف جاد بالمشاركة .

بالمشاركة الفعالة بتغيير الواقع و تحل الأزمات هذا ما دعا اليه الشاعر ، حاول ان يجعل منه كلاما معبرا يؤثر في الاجيال التي تقرأ سطوره كقول الشاعر: (18)

إن في جرحه جراح بلاده

لا تسلم عن أنينه و شهاده

راعده الحسن حيه كجماد

إن في جرحه جراحات شعب

في حشاه و شعله في اعتقاده

ثائر محمل البلاد قلوبا

(17) المصدر السابق : ص 528 .

(18) المصدر السابق : ص 295.

و احاسيسه و صفو وداده

و هب الشعب قلبه و دما

عاش الشاعر في حقبة زمنية مليئة بالحروب و الاضطرابات السياسية ، هذه الحروب التي عبر عنها الشاعر في نصوصه و رسم صورها بما يقرب الحال للمتلقي و يجنح نحو عوالم ما وراء النص ، يصور الشاعر حال المقاتل الذي يجرح و يستشهد في ساحات تلك الحروب ، هذا المقاتل الذي يحمل اسم بلده و يصور حال المعاناة فهو ليس جرح جسدي فحسب بل هو جرح ينزف الوطن الذي هو اعلى ما يملك المقاتل و يبذل في سبيله الروح التي لا تغلى عليه ، جرح الشعب لم يكن الا وليد تلك الازمات و تلك المأساة التي يعيش بها و لا يستطيع ان يغض عنها البصر ، ففي كل أزمة و موقف يستهدف فيه الشعب لا يستطيع أن يقف دونه وقفة صامتة لابد من الرد لحفظ الكرامة و حفظ ماء الوجه لهذا البلد ، و هذا لا ينطبق على ما عاشه الشاعر في اليمن فحسب ، بل هو لسان ناطق بحال كل الشعوب التي تتعرض للعدوان .

و من أبياته الشعرية التي يحث من خلالها على الحماس و تبث روح الأمل قوله : (19)

و أرغى هنا و هنا أزيذا

هتاف هتاف و ماج الصدى

و يهدي العمالقة المزدا

و زحف مرید يقود السنا

بمد إلى كل نجم بدا

تلاقت مواكبه موكبا

ضوج توقع ما أنشدا

مضى منشدا و ضلوع الطريق

و يستنهض الميت و المقعد

و أقبل يسترجع المعجزات

تضع الأصوات و ترتفع و تعلو من شأن الشجاعة و تحث على القوة و تقوي من العزيمة ، و في هذه الأبيات الشعرية ينسج الشاعر خيوط الأمل و يشد على يد العزيمة و الإرادة التي تقوي البلدان بالتكاتف و المحبة و الاهازيج التي تصدح عند الانتصار و يحس من خلالها المواطن بلذة الفوز هذا النصر الذي يجعل من الأيادي تمتد لتلوح للنجوم بفرح و عزة و كرامة ، هذا الانتصار الذي حدث يشبهه الشاعر بالمعجزات التي نادرا ما تحدث ، كأنما هذا البلد ميت و إعادة له الحياة و بثت فيه روح الأمل من جديد ليبدأ معه البلد مرحلة جديدة تقوي العزيمة و ترفع الهمم .

عبر الشاعر بلغته السلسة و البسيطة ليصور هذه الابيات بأقرب طرق ليوصلها الى المتلقي راسما صورا و معبرا عن المشاعر التي تختلج نفس كل مواطن و في كل مرحلة كان هو الصوت الحق و القلب النابض الذي يعيد الحياة و الأمل مع اشتداد لحظات اليأس التي يمرون بها ، كان الشاعر هو الوجه الحقيقي السامي الذي يتغلب من خلاله اليأس على يأسه و ينبض بالمحبة و يحافظ على الكرامة ، و مع اشتداد لحظات اليأس يذكر الشاعر:

(20)

(19) المصدر السابق: ص 268-269 .

(20) ديوان عبدالله اليردوني : ص 416.

لا تسألي يا أخت أين مجالي
أنا في التراب و في السماء خيالي
لا تسألي أين أغلالي سلي
صمتي و إطرقي عن الأغلال ؟
أشواق روعي في السماء و إنما
قدماي و في الأصفاد و الاو حال
و توهمي في كل أفق سابح
و أنا هنا في الصمت كالتمثال
أشكو جراحاتي إلى ظلي كما
يشكو الحزين الى الحلي السالي
و الليل من حولي يضج و ينطوي
في صمته كالظالم المتعالي

اللغة الصريحة و السليمة القريبة من المتلقي ، يقرأها العامة و تصل الى مسامعهم بسهولة و يسر بعيدة عن التكلف و الغموض لتكون هذه اللغة هي مفتاح العبور الى المشاعر و محطة مهمة تقف عندها الاذواق و تلتقي بها في جميع المحافل ، هذه اللغة التي خاطب بها الشاعر متلقين النص يعبر لهم عما يجول بخاطره ، ففي هذه اللحظات من السكون التام يعبر الشاعر عن روحه التي تتطاير بين الارض و السماء و هو لا يعلم ما يمكن له فعله بفعل الظروف التي يمر بها الشاعر و ليس هو فحسب بل هذه حال عامة الشعب جراء ما يحدث من انقلابات و حروب و اثارها السيئة على عامة الشعب ، حتى ان ظلام الليل يقتل رغبة الشاعر و يضج بداخله الهموم التي تجد لها منفذا مع سكون الليل .

يصور الشاعر ما يعيشه بالوهم وهو حالة من الرفض النفسي لواقعه و تمردا عليه و هذا الرفض نتيجة طبيعية لكل ما مر به من أزمت منذ طفولته حتى ما وصل اليه و هو انعكاس لروحه الهائمة الباحثة عن مأوى امن لها بعد كل ما عانتها هذه النفس ، و هذه الحالة غير المستقرة و غير المتوازنة تجعل من الانسان رافضا للواقع باحثا عن بدائل له لتستقر تلك الروح في مكانها و من ذلك قوله : (21)

أخي ، صحونا كله مأثم
و إغفاؤنا ألم أيكمر
فهل تلد النور أحلامنا
كما يلد الزهرة البرعم ؟
و هل تنبت الكرم وديانا
و يخضر في كرمنا الموسم ؟
و هل يلتقي الري و الضامو
ن و يعتنق الكأس و المبسم ؟
لنا موعد نحن نسعى اليه
و بعناقنا جرحنا المؤلم ؟

(21) المصدر السابق: ص 511.

يطرح الشاعر في هذا النص الشعري عددا من التساؤلات التي تشغل باله بعد انتهاء الثورة و ما عاشه هذا البلد من مأسى و هو يبحث عن اجابات لها فبعد كل ما عاشه هل هناك طريقه ترسم النور لتلك الاحلام التي طال انتظار تحقيقها ، هل يرتوي الانسان بما يستحقه بعد التعطش الذي عاشه ، وهو في الوقة ذاته و رغم تلك الحيرة لا يزال يحت على الأمل و التفاؤل ، ويجدد العهد مع أهمية السعي الذي من خلاله يتحقق الازدهار الذي ينعكس ايجابيا على الافراد ويحثهم على مواصلة بذل الغالي و النفيس من أجل ارجاع الحياة من جديد و تحقيق ما يطمحون اليه ببناء بلد لا يتوقف عند حدود النكبات فبعد كل أزمة يولد جيلا أقوى بعزيمة و ارادة ترجف العدو و تجعل منه بلدا عزيزا بسواعد الأبطال .

يبث الشاعر في غالبية ديوانه الشعري نصوصا قوية تزيد من العزيمة و الالباء من ذلك قوله : (22)

هتاف هتاف و ماج الصدى	و أرى هنا و هنا أريدا
و زحف مزيد يقود السنا	و يهدي العمالق المزداد
تلاقت مواكبه موكبا	يمد إلى كل نجم يدا
مضى منشدا و ضلوع الطرق	ضوح توقع ما انشدا
و أقبل يسترجع المعجزات	و يستنهض الميت و المقعدا

يقوي الشاعر من العزيمة و الارادة في ذكرى الثورة ليثير مسامع المتلقي و يفرض قواعد أساسية تصرخ بوجه الظلم و الاستبداد ، فيلوح الشاعر بهتافات يسمع صداها كل من يقرأ و يعيش تلك الظروف القاسية ويزيد من تلك الهتافات لتصبح شعارا ثابتا يرسم ملامح تلك الثورة ، و يحافظ على قيمها التي استشهد و جرح من اجل الحفاظ عليها الكثيرون ، فهذه الثورة لا ينبغي لها الا ان تذكر و لا يجوز ان تنسى عن طريق التذكير بها في كل موقف و محفل ليشند معها الزحف الجماهيري للوصول الى القمم .

هذا النصر الذي حققته الثورة من وجهة نظر الشاعر ليس فقط انتصار بل هو يد تمتد الى النجم و تحطم كل القيود و تضيء كل الدروب و تزرع الأمل عبر الاجيال فكأنما هي معجزات تتحقق و ترسم طريق الأمل من جديد وفاء لدماء الشهداء و اثبات المواقف و الهمم للمقاتلين الشجعان الذين يرسمون خط النصر ، كما يقوله في أبيات اخرى: (23)

من القبر من حشرات التراب	على الجمر من مهرجان الذباب
و من حيث كان يدق القطيع	طبول الصلاة إمام الذئاب
و يهوى كما يرتمي في الصخور	قتيل على كتفيه مصاب
ومن حيث كانت كؤوس الجراح	تزغرد بين شفاة الحراب

(22) المصدر السابق: ص 219.

(23) المصدر السابق: ص 433.

يسمع الشاعر صوت المقاتلين و الشهداء من ساحات الحروب و هو لسان حالهم في تلك الميادين وهو يصور ما عاشه المحارب و ما مر به وهم في مواجهة مباشرة مع العدو ، هذه المواجهة التي يقف خلفها المقاتل بصلابة و قوة ، رغم كل الجراحات و الالام التي تكابده ، فكأنما يقف الشاعر أمام ذئاب متوحشة تفترس كل من يقف أمامها و بوجهها ، في حيث ان المقاتل يقف أماما بثبات و هم يتساقطون بين قتيل و جريح دون أن يهتز هذا المقاتل الشجاع ، فالمصاب يحمل القتل في صورة فنية تشرح ما هو حجم المعاناة التي عاشها المقاتلين في تلك الفترة و ترسم ملامح الخطر الذي يداهمهم وقوة المشهد الذي لا يجد فيه القتل من يحمله سوى المصاب المكبد بالجراح و الذي يتجاهل جراحه و يوصل قتاله .

الخاتمة و نتائج البحث :

يمكن القول في ختام هذه الرحلة البحثية : إن هذه الثنائية التي سعى البحث للكشف عن خباياها مثلت محورين متلازمين في شعر عبدالله البردوني سعيا للكشف عن عمق هذه التجربة الانسانية ، ليتوصل البحث إلى جملة من النتائج و هي :

__ اليأس و الأمل شكلا ثنائية مهمة برزت في شعر البردوني و غلبت على معظم أشعاره معبرا عنها بأساليب شعرية متعددة تزين هذه الأشعار .

__ التجربة الشعرية للبردوني تتميز بارتباطها المباشر بالواقع من خلال رفضه للظلم و تحفيز الانسان على مواجهة الواقع و محاولة تغييره .

__ اليأس في شعر البردوني في كثير من الأحيان كان تعبيراً عن الواقع وكشف خفاياه و نقد كل ما هو سلبي و متخلف .

__ يمثل الأمل في شعره قوة داخلية تتناقض مع اليأس تعبير عن تطلعات الشاعر للمستقبل و تحقيق العدالة .

__ تداخل حسي بين رغبة الشاعر بأمل و بين حسه الوطني الصامد من أجل نهضة اليمن و تقدمه و قدرة الإنسان على تجاوز الأزمات و كل ما هو صعب .

__ مثلت ثنائية اليأس و الأمل العنوان الأبرز في شعره و الأعم الأغلب لذلك الشعر حتى امتزج الجانبين في كثير من الأبيات و تداخل بالشكل الذي لم يكن أحدهما منفصلاً عن الآخر فيه .

__ يسعى الأمل الى تحقيق التغيير فشعره لا يقوم على مبدأ التشاؤم بل هو طموح مستمر .

المصادر

1. البردوني، عبد الله: الأعمال الشعرية، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ط1، 2002م.
2. البكري، نبيل: قضايا يمنية (الحركة الوطنية والهوية والثقافة والدولة)، المؤسسة العربية للدراسات الاستراتيجية، 2023م.
3. زيد، علي محمد: الثقافة الجمهورية في اليمن، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة، القاهرة، ط1، 2020م.

4. مجموعة من الكتاب (أحمد المنصوري، شهاب غانم، وآخرون: (عبد الله البردوني الشاعر البصير، مطبعة جولدن ستي، الشارقة، ط1، 2019م.
5. الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر (ورد ذكره في الهوامش: ص 61).
6. الشعر في إطار العصر الثوري (ورد ذكره في الهوامش: ص 81).
7. المضامين الدينية والتراثية في شعر اليمن الحديث (ورد ذكره في الهوامش: ص 9).
8. محمد، فاطمة عبد الله: أثر التراث في شعر عبد الله البردوني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2003م.
9. الضبع، مصطفى إبراهيم؛ والزهراني، مها بنت عبد الله سعيد: الشخصية الاستعارية في شعر عبد الله البردوني: دراسة سيميائية"، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 31، العدد 4، 2023م.
10. جريدة الثورة (اليمنية): (البعد الوطني الثوري في شعر البردوني"، العدد 18573، 2015م.